18 فيفري 2022

خيارات الدولة في مجال الحبوب: خيارات مكلفة وغير مستدامة

في حوار لها على الإذاعة الوطنية بتاريخ 7 فيفري 2022, صرّحت وزيرة التجارة وتنمية الصادرات فضيلة الرابحي أن كميات القمح اللين والصلب المتوفرة في ديوان الحبوب تغطي حاجيات البلاد الى غاية شهر ماي المقبل الى حين توفر الانتاج من صابة موسم 2022[1].

كما تطرقت الى كلفة دعم المواد الاساسية التي ارتفعت ب 71.4 بالمائة في ميزانية 2022 مقارنة بسنة 2021[2], إضافة الى توقع الوزارة مزيد ارتفاع هذه التكاليف لتبلغ 4300 مليون دينار مقابل 3771 مرسمة بقانون المالية لسنة 2022 مبرزة أن ذلك يتجاوز قدرات المالية العمومية وصندوق الدعم مؤكدة عمل الوزارة على استراتيجية تهدف الى ترشيد استهلاك المواد الاساسية. هذا وبالتركيز على القمح الذي تمثل نفقات دعمه 80 بالمائة من جملة نفقات دعم المواد الاساسية لسنة 2022 فإن نسق توريد الحبوب شهد ارتفاعا بلغ 20 بالمائة خلال سنة 2021 حيث تورد تونس 80 بالمائة من حاجياتها من القمح اللين وما بين 20 و30 بالمائة من مجموع استهلاك القمح الصلب سنة 2021[3] مما يحلينا الى ان تعويل وزارة التجارة على صابة موسم 2022 غير كافي لتغطية حاجياتنا من القمح خاصة مع تراجع مساحات زراعة القمح ب 18 بالمائة بين 2009 و2018[4]. مع تقلب الأسعار في السوق العالمية لعدة اسباب على غرار تواتر فترات الجفاف بسبب التغيرات المناخية وارتفاع اسعار الشحن بسبب الازمة والصحية والازمة الروسية الاوكرانية التي تهدد الامدادات العالمية للقمح نتساءل عن مدى التزام الدولة التونسية بالعمل على تعزيز السيادة الغذائية للحفاظ على الامن الغذائي الهش للتونسيين.

ركزت وزيرة التجارية في حوارها على ان كلفة دعم المواد الاساسية اصبحت تتجاوز قدرات المالية العمومية في حين لم يقع التطرق الى السياسة التي تنتهجها سلطة الاشراف للحد من الاعتماد على توريد القمح الذي يستنزف مخزون البلاد من العملة الصعبة حيث تشير الارقام الى تضاعف عجز الميزان الغذائي لتونس ثلاث مرات خلال العشر أشهر الاولى من سنة 2021 ليبلغ 1690 مليون دينار سنة 2021 مقابل 619 مليون دينار سنة 2020[5]

لم تتخذ سلطة الاشراف اي اجراء من اجل الحفاظ على الزراعات الكبرى عامة او زراعة القمح خاصة بل ان تعميم دعم البذور ليشمل البذور المحسن محليا والمحسن المستورد[6] يهدد لمزيد تراجع صابة القمح. حيث ان البذور المحسنة محليا هي بذور قادرة على التكيف مع المناخ والتربة في تونس على عكس البذور المحسنة المستورد التي تأتي بأعباء اضافية على غرار اتاوة استعمال الحبوب التي يتم دفعها بالعملة الصعبة والادوية المستورد التي تتطلبها زراعة هذه البذور[7]. تعميم دعم البذور ليشمل الأصناف المحسنة المستوردة يلغي الحوافز والامتيازات التي كان يتمتع بها البحث العلمي العمومي ويثني الباحثين في تونس نحو مزيد العمل على تحسين البذور المحلية التي لا تتطلب مصاريف اضافية إضافة الى قيمتها الغذائية العالية مقارنة بالمستوردة. تشجيع استعمال البذور الاصلية الى جانب المحسنة محليا والعمل على الترفيع في المساحات المخصصة لزارعة القمح بهدف الترفيع في القدرة الانتاجية الجمليّة يمثل حلا عمليا. فمع ارتفاع الانتاج المحلي يتقلص التوريد ويتقلص عجز الميزان الغذائي مما سيؤدي الى تخفيض العبء على مخزون العملة الصعبة. على غرار القرار الذي اتخذه الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون بالترفيع في الانتاج الوطني من أجل الحد من توريد الحبوب كما سيتم متابعة الاستثمارات الفلاحية المعطلة من قبل وزارة الدفاع الجزائرية واتخاذ جملة من الاجراءات من اجل تشجيع الفلاحة والترفيع في المساحات الفلاحية من اجل الحصول على انتاجية أفضل[8].

للتذكير يعود الاعتماد على التوريد لتغطية حاجيات تونس من الحبوب اساسا الى تراجع انتاجية الفلاحة التونسية وهي أزمة عرفت بدايتها في ثمانينيات القرن الماضي عندما تدخل صندوق النقد الدولي في تونس لتصحيح الاوضاع الاقتصادية عن طريق برنامج الاصلاح الهيكلي. تضمن هذا البرنامج برنامج تقويم فلاحي الذي شجّع الفلاحة التصديرية والاهتمام بالمنتوجات ذات قدرة تنافسية عالية في السوق العالمية بجلب المزيد من العملة الصعبة قصد استعادة القدرة على سداد الديون كما نصّ عليه برنامج الاصلاح الهيكلي[9].

المراجع

1. الشارع المغاربي – وزيرة التجارة: كلفة دعم المواد الاساسية تفوق قدرات المالية العمومية وكمّيات الحبوب تغطي حاجات البلاد حتى ماي (acharaa.com)
2. تقرير ميزانية الدولة لسنة 2022
3. استيراد الحبوب يرهق مخزون العملة الصعبة في تونس | اندبندنت عربية (independentarabia.com)
4. الكتاب السنوي للإحصاءات الفلاحية 2016 (onagri.nat.tn)
5. تعمق عجز الميزان الغذائي: نصف الواردات الغذائية من الحبوب وارتفاع الأسعار العالمية - تونس الاقتصادية (tounessiktissadia.net)
6. قرار وزاري يدعم الحبوب المستوردة : خدمة للوبيات وضرب للسيادة الوطنية (وثائق) - الجرأة نيوز - aljoraanews
7. تونس.. لهذا يعود مزارعون إلى البذور الأصلية! | علوم وتكنولوجيا | آخر الاكتشافات والدراسات من DW عربية | DW | 01.09.2021
8. Céréales en Algérie : Tebboune décide de doubler la production nationale (dzairdaily.com)
9. خيارات الأنظمة بشمال أفريقيا وانتفاضات الخبز - North African Network for Food Sovereignty (siyada.org)